مراجعات

ناجي علوش ، **النوافذ التي تفتحها القنابل** (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧٠)
خالد ابو خالد ، **وسام على صدر المليشيا** (بيروت ، الاداب ، ١٩٧١)
عزالدين المناصرة ، **الخروج من البحر الميت** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)
محمد القيسي ، **خماسية الموت والحياة** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)

حين كان الشاعر محمود درويش داخل الارض المحتلة ، كان النقاد حينذاك يداعبون باب الاجتهاد، هل هو شاعر مقاومة ، ام شاعر معارضة ، ولقد اغلق خروج درويش الى القاهرة ، هذا الباب ، وعاد تساؤلا سائبا لا مهمة له غير معرفة ما اذا كان السيد درويش مناضلا في موقفه هذا ، ام لا . وأكبر الظن ان المرحلة الاتية ــ فيما اذا بقي الشاعر درويش على موقفه ــ ستقترب بشكل من الاشكال ، من محاولة التقييم النقدي المحض . وستبتعد بنفس القدر، من هذا اللغو الصحفي الشديد الاساءة ، ان محمود درويش شاعر ، وشاعر فلسطيني . يجب علينا أن نقف في حدود هذه المقدمة، لنتأمل معنى القصيدة المنتمية ــ فلسطينيا. لان محمود درويش استطاع ، بنفاذة ، ان يشكل محورا واضحا لهاجس عام (انساني) ، ذي بعد عميق (وطني ــ وقومي) . ولهاجس خاص ، هو نفوذه الحاد على كائن انساني شديد الحساسية هو ، محمود درويش ، نفسه .

لقد قرات في الفترة الاخيرة لاربعة شعراء ، تختلف رؤياهم نظرا لطبيعتهم ، كما تتفاوت هذه الرؤيا ، نظرا لقيمتهم الشعرية ، ولكنهم جميعا فلسطينيون: اثنان مارسا مهامهما الفلسطينية بفاعلية مشرفة ، فجاءا الى الشعر بعدة نضالية ، وتجربة لم تستطع ان توقظ السحر في اللغة . واثنان لم يدخلا بين التجربة ، بل واجهاها كما واجهها الانسان العربي القادر على استيحاء قدرها الكبير . فوقعا ، هما الاخران ، في مضايقات كانت علتها انعدام القدرة الكافية ــ شعريا ــ على خلق الانسجام التام بين واقع القدر الكبير والتجربة ، وواقع الضياع والرغبة في التمرد ، بين الموضوع الواقع والذات الواقعة . كانوا جميعا فلسطينيين يواجهون أزمة واحدة ، ازمة الانسان العربي حيث يكون أمام الهزيمة وفي استشراق المستقبل وأزمة الفلسطيني في البحث عن هويته . ولكن لماذا كان محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . ولم يستطع هؤلاء جميعا ، الا ان يكونوا فلسطينيين فحسب . لقد شكلت الارض امومة هائلة ودافئة للجميع ، ولكنها عند محمود درويش لم تكن هاجسا طبيعيا فحسب ، بل أيضا كانت هاجسا ابداعيا . الامر الذي لم يتوفر عند الاربعة الاخرين . لقد كانوا فلسطينيين فحسب . ولم يكونوا بهذا المعنى شعراء فلسطينيين .

اللذان مارسا « الحياة الفلسطينية » بفاعلية ، هما الشاعران ناجي علوش « النوافذ التي تفتحها القنابل » والشاعر خالد ابو خالد : « وسام على صدر المليشيا » . لقد كان الشعر عند الاول محاولة وضع لها مقدمة طويلة : يعتذر عنها تارة ، ويستأذن لها ، ويبررها تارة اخرى ، فيتطرف ، محددا على هوامشها قيما وقوانين نقدية ، يرى فيها الشعر « ما يكتب للجماهير » ، و« يغني انتصارات الانسان وهزائمه ، تخوفاته وتطلعاته، والذي يخوض معركة الانسان من اجل حريته وتقدمه ، وهذا يعني شيئين مترابطين : ١) يتعلق باللغة ، بالمصطلح ، والمصطلح الشاعري في نظري هو الذي يتوجه الى الجماهير لا الى القلة او النخبة . ٢) يتعلق بالمضمون ، والمضمون الشاعري في نظري هو الذي يطرح موقفا انسانيا واعيا من قضايا الحياة والموت والحرية ، لا باعتبارها مطلقا او ميتافيزياء ، بل باعتبارها حياة يومية للناس » .

ولنقرأ نموذجا للاستاذ ناجي علوش يفيدنا فيه عن معنى هذا « المصطلح الشاعري » و « المضمون الشاعري » . ولنستلهم منه هوية وطبيعة هذا الشعر الجماهيري ، ذي الوعي الحاد « لقضايا الحياة والموت والحرية ». يقول في قصيدة « عبد الرحمن » . . الشاب الجزائري :